الفلسفة ثانية باك

مفهوم النظرية والتجربة (المحور الأول : التجربة والتجريب)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : كلود برنار
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : روني طوم
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- تركيب

I- الإشكالية

يطرح مفهوم النظرية والتجربة جملة من الإشكالات الفلسفية من بينها الإشكال المرتبط بدور كل من التجربة والتجريب في بناء المعرفة العلمية وصياغة النظريات العلمية، حيث يظهر أن التجربة لها دور أساسي في بناء المعرفة العلمية وفي صياغة النظريات العلمية.

لكن الإشكال هو ما نقصده هنا بالتجربة، وإن كانت التجربة بمعنى التجربة الخام القائمة على الحواس أم التجربة بمعنى التجريب بما هو مساءلة واستنطاق للطبيعة، كما أن الحديث عن التجربة والتجريب دفعنا إلى التساؤل عن دور العقل والتأطيرات النظرية.

- فما هي دلالة كل من التجربة والتجريب ؟
- وأيهما يكتسي الأهمية في بناء المعرفة العلمية وفي صياغة النظريات العلمية، هل هي التجربة بمعنى التجربة الخام أم هي التجربة بمعنى التتجريب ؟
- وهل القول بأهمية التجربة نفي لأهمية ودور العقل ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : كلود برنار

2-1/ النص الفلسفي

التجريب إنصات للطبيعة

على العالم الذي يريد الإحاطة بمجموع مبادئ المنهج التجريبي أن يستوفي نظامين من الشروط، وأن يتميز بخاصيتين فكريتين، تعتبر كلها ضرورية لتحقيق هدفه والتوصل إلى الحقيقة العلمية.أولا، على العالم أن تكون لديه فكرة يخضعها للفحص في ضوء الوقائع، لكنه يكون مطالبا في نفس الوقت بالتأكد من أن الوقائع التي تمثل منطلقاً لفحص فكرته هي وقائع صحيحة ومنظمة. لهذا السبب عليه أن يكون ملاحظاً ومجربا في نفس الوقت.ثانيا، إن الملاحظ يعاين فقط بساطة الظاهرة الماثلة أمامه، فهمه الوحيد هو الحذر من الوقوع في أخطاء الملاحظة التي قد تؤدي به إلى إدراك غير كامل للظاهرة، أو إلى تعريفها تعريفاً خاطئاً. ولكي تكون معاينة الظاهرة معاينة سليمة يستخدم الملاحظ كل الأدوات التي من شأنها جعل ملاحظته للظاهرة ملاحظة أكثر شمولية.

على الملاحظ أن يكون إذن، أثناء معاينته للظواهر، بمثابة آلة تصوير تنقل بالضبط ما هو موجود في الطبيعة: حيث يجب أن يلاحظ بدون فكرة مسبقة. وعليه أن يصمت وأن ينصت إلى الطبيعة، وأن يُسجل ما تمليه عليه. وبعد معاينة الواقعة والملاحظة الجيدة للظاهرة، تبرز الفكرة ويتدخل الاستدلال العقلي، فيظهر المُجَرِّب لتفسير الظاهرة. إن العالم التجريبي هو الذي يستطيع بفضل تفسير محتمل ومسبق للظواهر الملاحظة أن يؤسس التجربة بحيث تسمح بالتحقق من الفرضية(...)

إن العالم المتكامل هو الذي يجمع بين الفكر النظري والممارسة التجريبية عبر الخطوات التالية:

1- يعاين واقعة؛

2- ميلاد فكرة في ذهنه تبعاً للمعاينة؛

3- انطلاقا من هذه الفكرة يستدل عليها ويلجأ إلى التجربة بعد أن تصورها ذهنيا؛

4- تنتج عن التجربة ظواهر جديدة عليه أن يلاحظها، وهكذا دواليك.

يشتغل ذهن العالم، إذن، انطلاقا من هذه الخطوات، بين ملاحظتين، تمثل الأولى منطلق الاستدلال العلمي، وتمثل الثانية خلاصة الاستدلال (أي التجربة).

كلود برنار، **المدخل لدراسة تطور الطب التجريبي**.فلاماريون، 1984 ص: 51-55

Claude Bernard, Introduction à l'étude de la médecine expérimentale

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه كلود برنار.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن كلود برنار يجيب عنه.

2- أبني أطروحة كلود برنار من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب كلود برنار عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة كلود برنار وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

3-2/ التصور الفلسفي

يرى كلود برنار أن معرفة قوانين الطبيعة تستوجب اتباع خطوات دقيقة وهي خطوات المنهج التجريبي، المتكون من الملاحظة والتي يجب أن تكون منظمة دقيقة وليست عفوية، ومن ذلك تتولد الفرضيات التي هي بمثابة إجابات مؤقتة قد تكون صحيحة كما يمكن أن تكون خاطئة، ولأجل اختبارها للتيقن منها يجب اعتماد التجربة والتي تشكل لحظة اختبار الفرضيات للاحتفاظ بالصحيحة منها، والتي ستشكل قانونا مفسرا للظاهرة.

إن لهذا الموقف قيمة معرفية من حيث دعوته للتركيز على منهج علمي قائم على خطوات دقيقة ويمكن من قوانين ثابتة، ويحول دون تدخل الذات لإسقاط مشاعرها وأفكارها على موضوع البحث، الشيء الذي أنتج أفكار علمية دقيقة قابلة للتكميم والتعميم وليست أفكار خاصة بفرد بعينه.

III- الموقف الفلسفي 2 : روني طوم

3-1/ النص الفلسفي

الخيال والتجريب

أعتقد أن واقعة تجريبية لا يمكن أن تكون علمية إلا إذا استوفت شرطين هما:

أولا: أن تكون قابلة لإعادة الصنع، وهذا يتطلب أن تكون محاضر إعداد التجربة وإجرائها دقيقة بما يكفي للتمكن من إعادتها في أزمنة وأمكنة أخرى (...)

ثانيا: أن تثير اهتماماً قد يكون تطبيقيا عمليا أو نظريا. يستجيب الاهتمام التطبيقي لحاجيات بشرية، أما الاهتمام النظري فإنه يعني أن البحث يدخل ضمن إشكالية علمية قائمة (...)

وفي هذه الحالة، يكون الهدف من التجريب حسب التصور التقليدي هو التحقق من صدق أو صحة فرضية ما: فمن أين تأتي الفرضية؟

لا وجود لفرضية بدون وجود شكل من أشكال "النظرية". وتتضمن النظرية دائما كيانات خيالية يتم التسليم بوجودها. ويتعلق الأمر هنا بالعلاقات السببية التي تربط السبب بالنتيجة. وتهدف التجربة إلى إثبات أو تكذيب وجود كيانات نظرية مسلم بها أو متواجهة(...)

لقد ذهب المؤسس التاريخي للمنهج التجريبي "فرانسيس بيكون" [1] إلى الاعتقاد بأن استخدام التجريب يتيح وحده التحليل السببي لظاهرة من الظواهر، وهذا وهم.

إن التجريب وحده عاجزٌ عن اكتشاف سبب أو أسباب ظاهرة ما. ففي جميع الأحوال ينبغي إكمال الواقعي بالخيالي. هذه القفزة نحو الخيالي هي أساساً عملية ذهنية، أو تجربة ذهنية، ولا يمكن لأي جهاز آلي أن يعوضها(...)

لا يمكن للتجريب، ليكون علمياً وذا مغزى، أن يستغني عن التفكير، غير أن التفكير عملية صعبة تنفلتُ من كل رتابة ومن كل منهج.

روني طوم، **فلسفة العلوم اليوم**، جوتي فيلار، 1986، باريس، ص: 10-12
René thom, Philosophie des sciences d'aujourd'hui.

3-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه روني طوم.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن روني طوم يجيب عنه.

2- أبني أطروحة روني طوم من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب روني طوم عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

ينتقد روني طوم القائلين بإطلاقية المنهج التجريبي وصلاحيته اللامتناهية في الكشف عن القوانين الطبيعية، وذلك لأن الظواهر الطبيعية دائمة التحول والتغير، فهناك ظواهر يصعب القبض عليها وإخضاعها لخطوات المنهج التجريبي بصيغته الكلاسيكية، وبالأخص تلك الظواهر الميكروسكوبية، وبالتالي من الوهم الاعتقاد أنه منهج مطلق، ثم لأنه مهما بلغت قوة وصلابة المنهج لا يمكنه الاستغناء على كل من التفكير والخيال، لذلك وجب إكمال التجربة المختبرية بالتجربة الذهنية، ليتمكن العالم من بلوغ حقائق دقيقة ويقينية حول الظواهر المدروسة.

IV- تركيب

يبني العلم التجريبي قوانينه تبعا لخطوات منهجية ونظرية، تجمع بين شروط الملاحظة العلمية ومبادئ التجربة عندما يخضع الفروض لمبدإ التحقق التجريبي..لكن التجريب بهذا المعنى لا يشكل مقوما وحيدا في تفسير الظواهر، إذ لابد من اعتبار عنصر الخيال وإدماجه في عملية التجريب.

إن الخيال هو تجربة ذهنية تمنح للواقع العلمي غنى كبيرا، فكثير من التجارب اليوم تعتمد الصور بدل الواقع، والأثر بدل الشيء، وهذا ما تؤكد عليه الفيزياء المعاصرة، التي تجاوزت مبادئ وتقنية العلم الكلاسيكي.